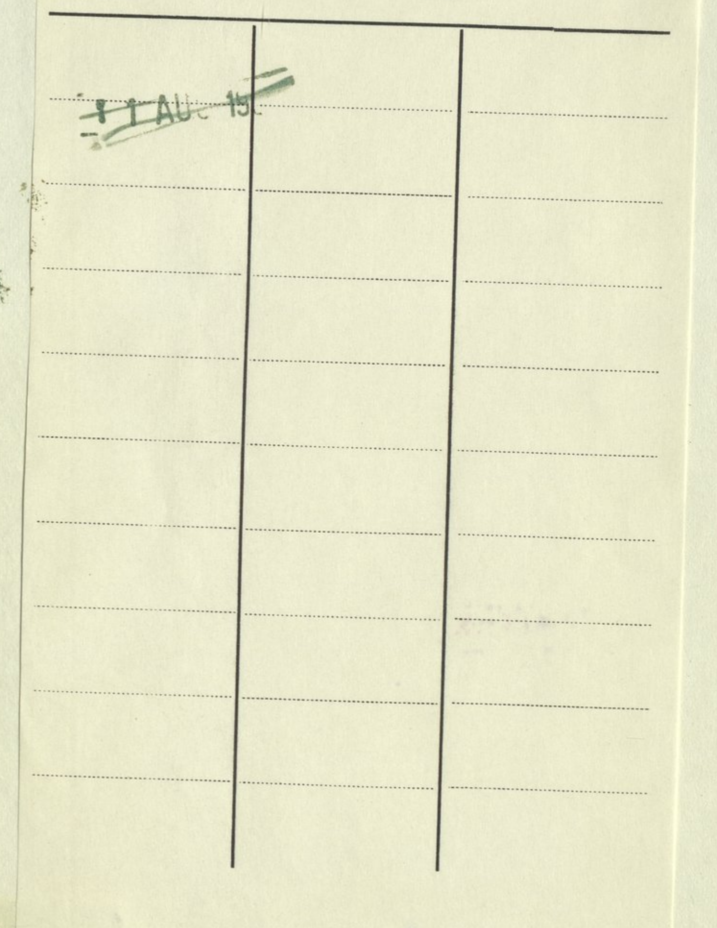

الوصية الجامعة
لابن تيمية


DATE DUE



- 4 Jan 67
MAY 1980
2 8 APR 1982



J. Lib
2 9 NOV 1983

الوصية الجامعة

لخير الدنيا والآخرة

تصنيف

شيخ الإسلام ابن تيمية

أجزل الله له الأجر والمثوبة

الطبعة الثالثة

١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م

الناشر

مكتبة أنصار السنة المحمدية

لصاحبها

محمود غانم غيث

١٠ الدمالشة عابدين مصر

مطبعة دار التأليف ٨ شارع يعقوب بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا سؤال أبى القاسم المغربى :

يتفضل الشيخ الامام ، بقية السلف ، وقدوة الخلف ، أعلم من لقيت ببلاد المشرق والمغرب ، تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية بأن يوصينى بما يكون فيه صلاح دينى ودنياى ، ويرشدنى إلى كتاب يكون عليه اعتمادى فى علم الحديث ، وكذلك فى غيره من العلوم الشرعية، وينبهنى على أفضل الأعمال الصالحة بعد الواجبات ، ويبين لى أرجح المكاسب . كل ذلك على قصد الإيماء والاختصار ، والله تعالى يحفظه ، والسلام الكريم عليه ورحمة الله وبركاته .

الجواب

الحمد لله رب العالمين .

أما الوصية ، فما أعلم وصية أنفع من وصية الله ورسوله لمن عقلها واتبعها : قال تعالى (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله)

ووصى النبى صلى الله عليه وسلم معاذاً لما بعثه إلى اليمن فقال :

« يامعاذ : اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » وكان معاذ رضى الله عنه من النبى ﷺ بمنزلة علية ، فانه قال له « يامعاذ : والله إنى لأحبك » وكان يردفه وراءه. وروى فيه أنه أعلم الأمة بالحلال والحرام ، وأنه يحشر أمام العلماء برتوة - أى بخطوة - . ومن فضله أنه بعثه النبى ﷺ مبلغاً عنه ، داعياً ومفقهاً ومفتياً وحاكما إلى أهل اليمن .

وكان يشبهه بابراهيم الخليل عليه السلام ، وإبراهيم إمام الناس . وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : إن معاذاً كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين ، تشبيهاً له بابراهيم .

ثم إنه ﷺ وصاه هذه الوصية ، فعلم أنها جامعة ، وهى كذلك لمن عقلها ، مع أنها تفسير الوصية القرآنية .

أما بيان جمعها ، فلأن العبد عليه حقان : حق لله عزوجل ، وحق لعباده . ثم الحق الذى عليه لابد أن يخل ببعضه أحيانا ، إما بترك مأمور به ، أو فعل منهى عنه ،

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اتق الله حيثما كنت » وهـذه كلمة جامعـة ، وفي قوله « حيثما كنت » تحقيق لحاجته إلى التقوى في السر والعلانية ، ثم قال « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » فإن الطبيب متى تناول المريض شيئا مضراً أمره بما يصلحه . والذنب للعبد كأنه أمر حتم . فالـكيس هو الذى لا يزال يأتى من الحسنات بما يمحو السيئات . وإنما قدم فى لفظ الحديث « السيئة » وإن كانت مفعولة ، لأن المقصود هنا محوها لا فعل الحسنة فصار كقوله فى بول الأعرابى « صبوا عليه ذنوبا من ماء »

وينبغى أن تـكون الحسنات من جنس السيئات ، فانه أبلغ فى المحو . والذنوب يزول موجبها بأشياء : أحدها التوبة ، والثانى الاستغفار من غير توبة . فإن الله تعالى قد يغفر له إجابة لدعائه وإن لم يتب ، فإذا اجتمعت التوبة والاستغفار فهو الـكمال .

الثالث : الأعمال الصالحة المـكفرة . إما الـكفارات المقدرة كما يكفر المجامع فى رمضان والمظاهر والمرتـكب

لبعض محظورات الحج ، أو تارك بعض واجباته ، أو قاتل الصيد بالكفارات المقدرة وهى أربعة أجناس : هدْى وعتق وصدقة وصيام . وإما الكفارات المطلقة كما قال حذيفة لعمر : فتنة الرجل فى أهله وماله وولده يكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وقد دل على ذلك القرآن والأحاديث الصحاح فى التكفير بالصلوات الخمس والجمعة والصيام والحج وسائر الأعمال التى يقال فيها : من قال كذا وعمل كذا غفر له ، أو غفر له ماتقدم من ذنبه ، وهى كثيرة لمن تلقاها من السنن خصوصا ماصنف فى فضائل الأعمال .

واعلم أن العناية بهذا من أشد ما بالانسان الحاجة اليه ، فإن الانسان من حين يبلغ ، خصوصا فى هذه الأزمنة ونحوها من أزمنة الفترات التى تشبه الجاهلية من بعض الوجوه ، فإن الإنسان الذى ينشأ بين أهل علم ودين قد يتلطخ من أمور الجاهلية بعدة أشياء ، فكيف بغير هذا ؟

وفى الصحيحين عن النبى ﷺ من حديث أبى سعيد رضى الله عنه « لتتبعن سَنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه . قالوا يارسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ » هذا خبر تصديقه فى قوله تعالى (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا) ولهذا شواهد فى الصحاح والحسان .

وهذا أمر قد يسرى فى المنتسبين إلى الدين من الخاصة ، كما قال غير واحد من السلف منهم ابن عيينة ، فان كثيراً من أحوال اليهود قد ابتلى به بعض المنتسبين إلى العلم ، وكثيراً من أحوال النصارى قد ابتلى به بعض المنتسبين إلى الدين ، كما يبصر ذلك من فهم دين الإسلام الذى بعث الله به محمداً ﷺ ، ثم نزله على أحوال الناس .

وإذا كان الأمر كذلك فمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ، وكان ميتاً فأحياه الله وجعل له نوراً يمشى به فى الناس ، لابد أن يلاحظ أحوال

الجاهلية وطريق الأمتين المغضوب عليهم والضالين من من اليهود والنصارى ، فيرى أن قد ابتلى ببعض ذلك .

فأنفع ماللخاصة والعامة العلم بما يخلص النفوس من هذه الورطات وهو إتباع السيئات الحسنات . والحسنات ماندب الله إليه على لسان خاتم النبيين من الأعمال والأخلاق والصفات . ومما يزيل موجب الذنوب المصائب المكفرة ، وهى كل مايؤلم من هم أو حزن أو أذى فى مال أو عرض أو جسد أو غير ذلك ، لكن ليس هذا من فعل العبد .

فلما قضى بهاتين الكلمتين : حق الله من عمل الصالح وإصلاح الفاسد ، قال « وخالق الناس بخلق حسن » وهو حق الناس . وجماع الخلق الحسن مع الناس : أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام والدعاء له والاستغفار والثناء عليه ، والزيارة له ، وتعطى من حرمك من التعليم والمنفعة والمال ، وتعفو عمن ظلمك فى دم أو مال أو عرض . وبعض هذا واجب وبعضه مستحب .

وأما الخلق العظيم الذى وصف الله به محمداً ﷺ فهو الدين الجامع لجميع ماأمر الله به مطلقا ، هكذا قال مجاهد وغيره وهو تأويل القرآن ، كما قالت عائشة رضى الله عنها « كان خلقه القرآن » وحقيقته المبادرة إلى امتثال مايحبه الله تعالى بطيب نفس وانشراح صدر .

وأما بيان أن هذا كله فى وصية الله ، فهو أن اسم تقوى الله يجمع فعل كل ما أمر الله به إيجابا واستحبابا ، وما نهى عنه تحريما وتنزيها ؛ وهذا يجمع حقوق الله وحقوق العباد . لكن لما كان تارة يعنى بالتقوى خشية العذاب المقتضية للانكفاف عن المحارم ، جاء مفسرا فى حديث معاذ ، وكذلك فى حديث أبى هريرة رضى الله عنهما الذى رواه الترمذى وصححه « قيل يارسول الله ماأكثر مايدخل الناس الجنة ؟ قال : تقوى الله وحسن الخلق . قيل : وما أكثر مايدخل الناس النار ؟ قال : الأجوفان : الفم والفرج »

وفى الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما

قال قال رسول الله ﷺ « أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقا » فجعل كمال الإيمان فى كمال حسن الخلق. ومعلوم أن الإيمان كله تقوى الله ، وتفصيل أصول التقوى وفروعها لايحتمله هذا الموضع ، فانها الدين كله ، لكن ينبوع الخير وأصله : إخلاص العبد لربه عبادة واستعانة كما فى قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) وفى قوله (فاعبده وتوكل عليه) وفى قوله (عليه توكلت وإليه أنيب) وفى قوله (فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له) بحيث يقطع العبد تعلق قلبه من المخلوقين انتفاعاً بهم أو عملا لأجلهم ، ويجعل همته ربه تعالى ، وذلك بملازمة الدعاء له فى كل مطلوب من فاقة وحاجة ومخافة وغير ذلك ، والعمل له بكل محبوب . ومن أحكم هذا فلا يمكن أن يوصف مايعقبه ذلك .

وأما ماسألت عنه من أفضل الأعمال بعد الفرائض فإنه يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه وما يناسب أوقاتهم ، فلا يمكن فيه جواب جامع مفصل

لكل أحد، لكن مما هو كالإجماع بين العلماء بالله وأمره: أن ملازمة ذكر الله دائماً هو أفضل ماشغل العبد به نفسه فى الجملة، وعلى ذلك دل حديث أبى هريرة الذى رواه مسلم «سبق المفردون، قالوا يارسول الله: ومن المفردون؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» وفيما رواه أبو داود عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: ذكر الله» والدلائل القرآنية والإيمانية بصراً وخبراً ونظراً على ذلك كثيرة. وأقل ذلك أن يلازم العبد الأذكار المأثورة عن معلم الخير وإمام المتقين ﷺ كالأذكار المؤقتة فى أول النهار وآخره، وعند أخذ المضجع، وعند الاستيقاظ من المنام، وأدبار الصلوات، والأذكار المقيدة، مثل مايقال عند الأكل والشرب

واللباس والجماع ، ودخول المنزل والمسجد والخلاء والخروج من ذلك ، وعند المطر والرعد ، إلى غير ذلك ، وقد صنفت له الكتب المسماة بعمل يوم وليلة . ثم ملازمة الذكر مطلقاً ، وأفضله لا إله إلا الله . وقد تعرض أحوال يكون بقية الذكر مثل سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله أفضل منه .

ثم يعلم أن كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله من تعلم علم وتعليمه ، وأمر بمعروف ونهى عن منكر فهو من ذكر الله . ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض ، أو جلس مجلسا يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذى سماه الله ورسوله فقها ، فهذا أيضا من أفضل ذكر الله . وعلى ذلك إذا تدبرت لم تجد بين الأولين فى كلماتهم فى أفضل الأعمال كبير اختلاف. وما اشتبه أمره على العبد فعليه بالاستخارة المشروعة ، فما ندم من استخار الله تعالى . وليكثر من ذلك ومن الدعاء ، فانه مفتاح كل خير ، ولا يعجل فيقول قد دعوت

فلم يستجب لى ، وليتحرّ الأوقات الفاضلة كآخر الليل وأدبار الصلوات وعند الأذان، ووقت نزول المطر ونحو ذلك.

وأما أرجح المكاسب : فالتوكل على الله ، والثقة بكفايته ، وحسن الظن به . وذلك أنه ينبغى للمهتم بأمر الرزق أن يلجأ فيه إلى الله ويدعوه ، كما قال سبحانه فيما يأثر عنه نبيه « كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم . ياعبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم » وفيما رواه الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله إذا انقطع ، فإنه إن لم ييسره لم يتيسر » وقد قال الله تعالى فى كتابه (واسألوا الله من فضله) وقال سبحانه (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) وهذا وإن كان فى الجمعة فمعناه قائم فى جميع الصلوات . ولهذا والله أعلم أمر النبى صلى الله عليه وسلم للذى يدخل المسجد أن يقول « اللهم افتح لى أبواب رحمتك » وإذا خرج أن يقول « اللهم إنى

أسألك من فضلك » وقد قال الخليل صلى الله عليه وسلم (فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له) وهذا أمر ، والأمر يقتضى الإيجاب . فالاستعانة بالله والالجأ إليه فى أمر الرزق وغيره أصل عظيم .

ثم ينبغى له أن يأخذ المال بسخاوة نفس ليبارك له فيه ، ولا يأخذه بإشراف وهلع ، بل يكون المال عنده بمنزلة الخلاء الذى يحتاج إليه من غير أن يكون له فى القلب مكانة ، والسعى فيه إذا سعى كإصلاح الخلاء . وفى الحديث المرفوع رواه الترمذى وغيره «من أصبح والدنيا أكبر همه شتت الله عليه شمله ، وفرق عليه ضيعته ، ولم يأته من الدنيا إلا ماكتب له . ومن أصبح والآخرة أكبر همه جمع الله عليه شمله ، وجعل غناه فى قلبه ، وأتته الدنيا وهى راغمة » . وقال بعض السلف : أنت محتاج إلى الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج ، فإن بدأت بنصيبك من الآخرة مر على نصيبك من الدنيا فانتظمه انتظامـــا . قال الله تعالى (وما خلقت الجن

والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) .

فأما تعيين مكسب على مكسب من صناعة أو تجارة أو بناية أو حراثة أو غير ذلك فهذا مختلف باختلاف الناس ، ولا أعلم فى ذلك شيئا عاما ، لكن إذا عنّ للانسان جهة فليستخر الله تعالى فيها الاستخارة المتلقاة عن معلم الخير ﷺ ، فإن فيها من البركة مالا يحاط به . ثم ماتيسر له فلا يتكلف غيره إلا أن يكون منه كراهة شرعية .

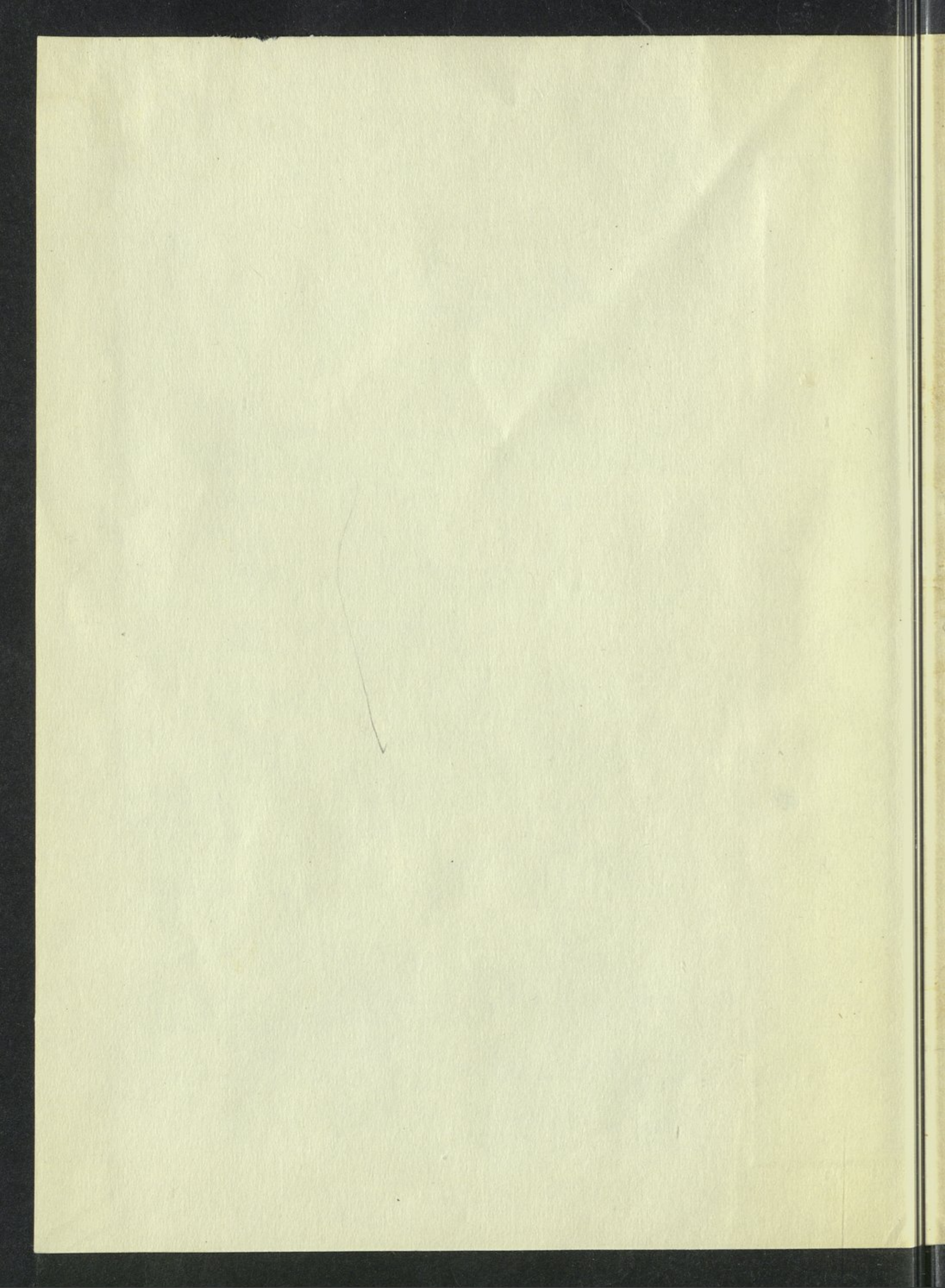
وأما ماتعتمد عليه من الكتب فى العلوم فهذا باب واسع ، وهو أيضا يختلف باختلاف نشء الانسان فى البلاد ، فقد يتيسر له فى بعض البلاد من العلم أو من طريقه ومذهبه فيه ما لا يتيسر له فى بلد آخر ، لكن جماع الخير أن يستعين بالله سبحانه فى تلقى العلم الموروث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فإنه هو الذى يستحق أن يسمى علما ، وما سواه إما أن يكون علما فلا يكون نافعا ، وإما أن لا يكون علما وإن سمى به . ولئن كان

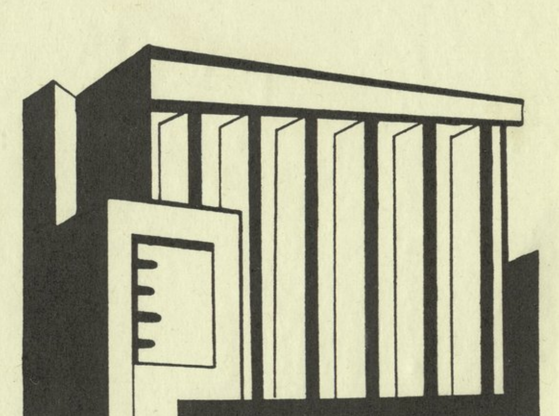
علما نافعا فلا بد أن يكون فى ميراث محمد صلى الله عليه وسلم ما يغنى عنه مما هو مثله وخير منه . ولتكن همته فهم مقاصد الرسول فى أمره ونهيه وسائر كلامه. فإذا اطمأن قلبه أن هذا هو مراد الرسول فلا يعدل عنه فيما بينه وبين الله تعالى ولا مع الناس إذا أمكنه ذلك .

وليجتهد أن يعتصم فى كل باب من أبواب العلم بأصل ما أثور عن النبى صلى الله عليه وسلم . وإذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه الناس فليدْع بما رواه مسلم فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قام يصلى من الليل « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ، فاطر السموات و الأرض عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم » فإن الله تعالى قد قال فيما رواه عنه رسوله « ياعبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم »

وأما وصف الكتب والمصنفين ، فقد سمع منا فى أثناء المذاكرة ما يسره الله سبحانه . وما فى الكتب المصنفة المبوبة كتاب أنفع من صحيح محمد بن اسماعيل البخارى ، لكن هو وحده لايقوم بأصول العلم ولا يقوم بتمام المقصود للمتبحر فى أبواب العلم ، إذ لابد من معرفة أحاديث آخر وكلام أهل الفقه وأهل العلم فى الأمور التى يختص بعلمها بعض العلماء . وقد أوعبت الأمة فى كل فن من فنون العلم إيعابا ، فمن نور الله قلبه هداه بما يبلغه من ذلك ، ومن أعماه لم تزده كثرة الكتب إلا حيرة وضلالا ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى لبيد الأنصارى « أوليست التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى ؟ فماذا تغنى عنهم ؟ » .

فنسأل الله العظيم أن يرزقنا الهدى والسداد ، ويلهمنا رشدنا ، ويقينا شر أنفسنا ، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب . والحمد لله رب العالمين، وصلواته على أشرف المرسلين م





الوصية الكبرى - ابن تيمية